

## باب

### فى ذم المرأة من حيث أنها زوجة حمقاء جاهلة وريّة بيت بذيئة خرقاء عاطلة

سعادة الأسرة وشقاؤها متوقفة على المرأة، فالعاقلة ترقى بزوجها وأولادها إلى أوج السعادة والراحة والهناء، والحمقاء تهوى بزوجها وأولادها إلى مكان سحيق من النحوس والتعب والشقاء، وكثيراً ما يكون خراب البيوت وهلاك النفوس بسبب النساء ولعظم ضررهن كان رسول الله ﷺ يقول فى دعائه " اللهم إني أعوذ بك من امرأة تشينني قبل المشيب " وفى حديث آخر " ثلاث من الفواقر، إمام إن أحسنت لم يشكر، وإن أسأت لم يغفر، وجار إن رأى خيراً دفنه، وإن رأى شراً أشاعه، وامرأة إن حضرت آذتك، وإن غبت عنها خانتك " - رواه الطبرانى عن فضالة بن عبيد - وفى حديث آخر " ثلاثة يدعون الله عز وجل فلا يستجاب لهم، رجل كانت تحته امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها، ورجل كان له على رجل مال فلم يشهد عليه، ورجل أتى سفيهاً ماله وقد قال الله تعالى (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) - رواه الحاكم عن أبى موسى الأشعري - وفى حديث آخر " أربع من الشقاء، المرأة السوء، والجار السوء، والمسكن السوء، والمركب السوء " .

## باب

### فى بيان ما تدل عليه مادة النساء

من الأمور المكابفة للواقع فى الغالب أن لكل مسمى من اسمه نصيباً؛ لذلك أن واضع الأسماء فى الأصل قارن ووافق بين الاسم ومسماه حين وضعه ومشت عليه اللغة، ومن ذلك كلمة النساء فإنها مأخوذة من النساء وهو الزجر والدفع والسوق والتأخير، تقول: نسأت البعير أى زجرته، ونسأته عن الحوض دفعته، ونسأته سقته، ونسأت الشيء إلى وقت آخر أخرته، ونسئت المرأة تأخر حيضها عن وقته، والنساء بفتح النون الشراب المزيل للعقل، واللبن الرقيق الكثير بالماء، وخلط اللبن - والنساء بضم النون التأخير أيضاً كالنسيئة، والنساء بفتح النون والمد التأخير فى العمر، ومنه قول علماء الطب: من سره النساء فليخفف الرداء (الدين) وليياكر الغداء، وليقل غشيان النساء. والمنسأة بكسر الميم العصا، والانتساء التباعد، والانسءاء الابعاد. ومقلوب نساء أسن، يقال أسن الماء إذا تغير طعمه أو ريحه، وأسن الرجل إذا دخل بثر فأصابته منها ريح متنتة. وكل هذه المعانى موجودة فى النساء وبينها وبينهن تلازم.

مثال الدفع قوله ﷺ للنساء اللاتى رأهن يتبعن جنازة "ارجعن مأزورات غير مأجورات" فدفعهن عن اتباع الجنائز.

ومثال السوق قوله تعالى (الرجال قوامون على النساء) أى مدبرون أمورهن وسائقهن لما فيه الخير لهن، إذ المرأة لا كفاءة فيها لإدارة أمورها بذاتها، فلا بد لها من قائم عليها وسائق يسوقها لنحو ما فيه صلاحها، فإنها لو تركت ونفسها لكانت تسرح وتمرح من غير تبصر.

ومثال التأخير قول عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما: أخروهن

(أى النساء) من حيث أخرهن الله . أى فإن الله أخرهن عن الرجال فى الميراث وفى الصلاة وفى الجنائز وفى كثير من الأحكام .

ومثال الزجر كل ما جاء فى القرآن والحديث من النهى لهن قزلا وعملا ومثال النساء بمعنى الشراب المزيل للعقل قوله ﷺ " ما رأيت من ناقصات عقل أذهب للب الرجل منكن " .

ومثال النساء بمعنى اللبن الرقيق الكثير الماء قوله صلى الله تعالى عليه وسلم " المرأة خلقت من ضعف وعورة " الحديث . بجامع قلة الجدوى فى كل منهما .

ومثال النساء بمعنى خلط اللبن قوله ﷺ " حاملات والذات مرضعات رحيمات بأولادهن لولا ما يأتين إلى أزواجهن دخل مصلياتهن الجنة " فقد أفاد هذا الحديث أن حملهن وولادتهن وإرضاعهن لأولادهن ورحمتهم لهم لم يفسدهن ثواباً إذ قد خلطن ذلك بأذيتهن لأزواجهن كاللبن لما خلط بالماء ذهبت فائدته .

ومثال النساء وهى العصا قوله ﷺ " لا ترفع عصاك عن أهلك " أى لا تتركهن وشأنهن من غير مراقبة لهن ، ويجوز أن يكون المراد نفس العصا حيث يجوز للرجل أن يضرب زوجته ضرباً غير مبرح لقوله ﷺ " علقوا السوط بحيث يراه أهل البيت " .

ومثال النساء - وهو الابعاد - ما تقدم من قول ابن عباس : أخرهن .

ومثال الانتساء وهو الابتعاد قوله تعالى حكاية عن مريم أم عيسى عليهما السلام (فحملته فانتدب به مكاناً قصياً) .

ومثال الأسن وهو مقلوب النساء قوله ﷺ " أيما امرأة وضعت ثيابها فى

غير بيت زوجها فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله عز وجل<sup>(١)</sup> ومثال الأسن  
بمعنى دخول الرجل البئر وإصابته من ريحها قوله ﷺ "لأن يزحم رجل  
خنزيراً متلطخاً بطين أو حمأة خير له من أن يزحم منكبه منكب امرأة لا تحمل  
له" اهـ والنساء فى اللغة اسم جمع لا مفرد له من لفظه بل له لفظ مفرد من  
معناه وهو لفظ المرأة، وفى هذا إشارة إلى أن المرأة لا يعتد بها لذاتها  
وشخصها بل هى محتاجة للتجمع والانضمام، وإنما يكون ذلك بالزوج أو  
الولى القائم عليها المدبر لأمرها مهما تكن كبيرة عاقلة مدبرة على أنه لكل  
قاعدة استثناء، ولكل عموم خصوص، والكمال لله وحده.

---

(١) وأورده الترمذى بلفظ: هتكت الستر بينها وبين ربها. مصححه.

## باب

### فى كراهية العرب للنساء وما لذلك من سبب واقتضاء

كراهية العرب للإناث متأصلة فى نفوسهم، متوارثة عن أسلافهم. وإنما تتفاوت درجاتها بتفاوت درجات البداوة والحضارة، فالمرأة عندهم أقل قيمة وأدنى درجة من الحيوان الرابض فى أكفانهم. وقد كان من كراهيتهم للنساء أنهم يثدون بناتهم - أى يدفنونهم أحياء - أو أنهم يدعوهن عرضة لكل إذلال وإهانة كما قال الله تعالى حكاية عنهم (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه بالتراب ألا ساء ما يحكمون) فقد غاب الله تعالى عليهم صنعهم هذا وتوعدهم عليه بالعذاب يوم القيامة كما قال تعالى (وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت). ومن كراهيتهم لهن أحد ثوابيهن الأمثال فقالوا: دفن البنات من المكرمات. قال بعض الشعراء:

جعلت فداك من النائبات      ومتعت ما عشت فى الطيبات  
سروران ما لهما ثالث      حياة البنين وموت البنات  
واصدق من ذين قول الحكيم      سم دفن البنات من المكرمات  
وقال عبد الله بن طاهر المتوفى سنة ٢٣٠:

لكل أبى بنت إذا ما ترعرعت      ثلاثة أصهار إذا ذكر الصهر  
فزوج يراعيها وبيت يكنها      وقبر يواربها وخيرهم القبر

وفى كتب الأدب أنه ماتت لرسول الله ﷺ ابنة فحار الصحابة كيف يعزونه ﷺ فبينما هم قاعدون مطوقون إذ دخل أعرابى فقال: يا رسول الله مؤنة كفيت، وعورة سترت، ونعم الموت المهر، والصهر القبر. فتبسم رسول

الله ﷻ وسرى عن الصحابة. قال الكمال أحسن الله تعالى إليه وقد عقدت هذا القول فقلت:

هل يعلم المرء من قد ماتت ابنته      بأنها نعمة تستوجب الشكرا  
مؤونة كفيت بل عورة سترت      وحبذ القبر صهراً والردى مهرا

ويقال تقديم الحرم من النعيم. وفي الحديث "نعم الختن القبر" وكان الأستاذ الطبرى رحمه الله تعالى يقول: ليس شيخاً من لا بنت له وإن كان ابن تسعين، ولا شاباً من له بنت وإن كان ابن عشرين اهد وقيل لأعرابي ما ولدك؟ فقال قليل خبيث، قيل وكيف ذلك؟ قال لا عدد أقل من الواحد، ولا خبث أخبث من بنت. وقيل طولى لمن خطب إليه الدهر، وصاهر القبر، ووضع فى ميزانه الأجر. وفى كتاب الأغاني لأبى الفرج الأصبهاني المتوفى سنة ٣٥٦ فى أخبار حسان بن ثابت الصحابى المتوفى سنة ٥٤ رضى الله تعالى عنه أنه لقي جر ولا الشاعر المعروف بالخطيئة العبسى، فسأله عن كنيته فقال أبو مليكة، فقال له حسان: ما كنت قط أهون على منك حين كنت بامرأة اهد ومن كراهية العرب للإناث استعمالهم لهم كلمات مضافة للفظ بنت وبنات فيما با يحمد أو لا يستحسن فى الغالب، كقولهم للخمرة بنت الحان، وللداهية بنت الدهر، وللمصائب بنات غير (كعمر) وللقمل والصبيان بنات الدروز، وللحوادث بنات الدهر، وللسهام بنات المنايا، وللأحلام بنات الليل، وللإبل بنات الفلا، وللسمك بنات دجلة، وللوحش بنات القفر، وللعذارى بنات الخدور، وللرغفان بنات التناير، وللأوتار بنات اللهو. وقد استعملت الشعراء البنات والبنات فى أشعارها ومنه قول المتنبى المتوفى سنة ٣٥٤:

أبنت الدهر عندى كل بنت      فكيف وصلت أنت من الزحام

أراد بينت الدهر الحمى وقد أصابته، وقال أيضاً:

وما أظن بنات الدهر تتركنى حتى تسد عليها طرقها هممي

والسبب في كراهية العرب للنساء هو أن الحارث بن هبولة الغساني غزا قوم الحارث بن عمرو والكندي فسبى زوجته هذا فوطئها، ثم ألحقه زوجها الحارث بن عمرو وقتله واسترجع امرأته، فسألها هل نال منك؟ فقالت نعم والله ما اشتملت النساء على مثله، فأوثقها بين فرسين ثم استحضرهما فجريا وهي مربوطة بينهما حتى تقطعت إرباً وقال في ذلك:

كل أنثى وإن بدا لك منها آية الحب عهدها خيتعور  
إن من غره النساء بو بعد هند لجناهل متغرور

الخيتعور كل شيء لا يدوم على حالة واحدة ويضمحل كالسراب. فعمدت العرب من ذلك الحين لوأد بناتها كي لا يكن مثلها حرصاً على العرض وحفظاً للنسب للذين هما أنفس شيء وأشرفه عندهم. ولما كانوا أهل حرب وضرب يشنون الغارات، ولا يقعدون عن الأخذ بالثأر، أخذتهم الحمية أن يكون في نسائهم وبناتهم من تسبى أو توطأ فتختلط المياه ويفسد النسل والأخلاق والطباع، عمدوا إلى واد البنات وإن كان في ذلك نقص عددهم حفظاً لكيانهم، فإن الغيرة على العرض أهم ما تعنى به العرب لكنهم أفرطوا فيه إفراطاً عيب عليهم ومن غريب ما علمته عن كراهية النساء ما ذكره ابن حجة الحمودي المتوفى سنة ٨٣٧ في كتابه ثمرات الأوراق، قال الشهاب محمود (المتوفى سنة ٧٢٥) كان الشيخ تقي الدين السروجي (المتوفى سنة ٦٩٣) مع دينه وورعه وهذه يكره مكائناً فيه امرأة، كنا يوماً في دعوة فأحضر صاحبها شواء وأمر بإدخاله إلى النساء ليضعه في الصحن، فلما أحضر تقرف منه الشيخ تقي الدين وقال: كيف يؤكل وقد مسسته بأيديهن؟!

## باب

### فى أن النساء سبب المفاسد والفتن، فى كل مكان وزمن

وكأن إثارة هذه المفاسد من لازمهن، لا يتخلين عنه ولا ينفك عنهن. فلا تكاد تسمع بفتنة أو بفساد إلا ومنهن أو بسببهن، حتى إن الفرنسيون إذا سمعوا بشيء من ذلك قالوا فى الحال: ابحث عن المرأة؟ أى ابحث عنه تجده من المرأة. وقد قص الله تعالى علينا فى القرآن الكريم كثيرًا من القصص فى المفاسد والفتن كان سببها النساء، منها قصة خروج سيدنا آدم من الجنة، وقصة هاروت وماروت، وقصة قتل قابيل أخاه هابيل، وقصة فتنة بنى إسرائيل التى سببها اشترت البقرة بوزن مسكها (بفتح الميم جلدتها) ذهبًا وذبحت وضرب الميت ببعضها فحى وقال قتلنى فلان ثم رجع ميتًا كما كان؛ وتبين أن قتله كان بسبب النساء. وقصة ابتلاء سيدنا يوسف عليه السلام بزليخا امرأة العزيز بمصر، وقصة خيانة امرأتى نوح ولوط عليهما السلام، وقصة فتنة داود وابنه سليمان عليهما السلام، وغير ذلك مما لم يذكر فى القرآن كثير. قال فى كتاب بدائع الزهور فى وقائع الدهور لابن إياس المتوفى سنة ٩٣٠.

من فتنة النسوان كم يعصى الفتى	أمر الإله بطاعة الشيطان
واللص لولاهن كم بك بائعًا	للروح منه بأبخس الأثمان
قابيل لولاهن لم يقتل أخا	ه ولا رضى بالذل والخسران
وبهن صار لآدم وليوسف	ما قد حكاه الله فى القرآن
وكذا سليمان وداود بما اب	تليبا به من غابر الأزمان
مجنون ليلى جن فى حب النساء	كل الأذى يأتى من النسوان
كن ما استطعت عن النساء بمعزل	إن النساء حبائل الشيطان

## كثرة النساء وقلة الرجال

فى الحديث الشريف "ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب فلا يجد أحداً يأخذها يأخذها، ويرى الرجال الواحد قد تبعه أربعون امرأة يلذن به من قلة الرجال وكثرة النساء" - رواه البخارى ومسلم عن أبى موسى الأشعري - وفى حديث آخر "إن من أشرط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ويفشو الزنا ويشرب الخمر ويذهب الرجال وتبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد" - رواه الإمام أحمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه عن أنس - وفى حديث آخر "لا تقوم الساعة حتى يكون لخمسين امرأة واحد" وقول الرسول ﷺ حق وصدقة، فإنه لا ينطق عن الهوى. فقد قال بعض رجال الاجتماع فى إيطاليا إن فى أوربا أربعمائة وخمسة وسبعين مليوناً من النفوس، منها مائتان وخمسون مليوناً من النساء فهن يزدن على الرجال بخمسة وعشرين مليوناً. وقوله هذا كان قبل وقوع الحرب العالمية التى وقعت سنة ١٣٣٣ هـ ١٩١٤ م.

وكننت اطلعت فى بعض الجرائد بعد انقضاء الحرب المذكورة على إحصاء وضعه بعض المتبعين لما أحدثته الحرب من المنافع والمضار، فذكر أن فى مقابلة كل رجل خمساً وثلاثين امرأة، هذا والقيامة لم تقم بعد. ومن إحصائه هذا يظهر صدق ما جاء فى الأحاديث الشريفة عن كثرة النساء وقلة الرجال، وفصل ذلك المتبع نسبة الرجال والنساء فى بعض الممالك فقال: فى ألمانيا مقابل كل ألف ذكر ألف وست وعشرون أنثى، وفى روسيا ألف وأربعمائة أنثى، وفى أمريكا ألف ومئة أنثى، وفى فرنسا ألف واثنتان وتسعون أنثى؛ وفى تركيا ألف وخمسمائة أنثى.

## باب

### فى ذكر ما فى النساء، من طبائع بعض الأشياء

فى المرأة عمق البحر، ومد الأمواج وجزرها، ولمعان النجوم، وحرارة الشمس، وقطرات الندى، وتقلب الرياح، وارتجاف النبات، ولون الأزهار وعطرها وخفة أوراقها، وتمایل الأغصان، ولطف النسيم، ونشوة الراح، وطعم العسل، ووهج الذهب، وقسوة الماس، ولين الحية ونعومتها، وتلون الحرياء، ونفار الغزال، وعيون المهى، وحياء الأرنب، وخیلاء الطاووس، وشراسة الأسد، ومكر الثعلب، ولسعة العقرب، ونغمة اليمامة، وهذيان البغاء، وكثرة كلامها، فهى - أى المرأة - تتكلم بلا انقطاع؛ وتبكى بلا سبب، وتشكو من أقل شىء، وتتألم من لا شىء. ولا ينتهى لها طلب، ولا ينقضى لها عجب، ومع ذلك فحياة الرجل بدونها حياة وحدة وانفراد، ومعها حياة تعب وشقاء، فلا خير فيها ولا غنى عنها. قال ابن الرومى .

وبلاه إن هى أقبلت أو أدبرت      وقع السهام ونزعهن أليم

### معرفة عمر المرأة من أنواع الطعام الذى ترغب فيه

يقال إنه يمكن الاستدلال على عمر المرأة من أنواع الأطعمة التى تجبها، فالميل إلى الحلويات تكون دون العشرين، والتى بين عشرين وخمس وعشرين تميل إلى الموالح والحوامض، والتى بين خمس وثلاثين تحب الثمار والفاكهة حبًا جمًا، والتى بين ثلاثين وخمس وثلاثين تزداد رغبتها فى لحم الفراخ والسّمك، والتى بين خمس وثلاثين وأربعين تطلب لحم البقر والضأن أكثر من غيرهما، ولا حاجة للكلام على من هى فى الأربعين فما فوق لأن عمر المرأة لا يمكن أن يزيد عندها على أربعين ولو كانت بنت ثمانين!!

## باب

### فى ابتلاء الأخيار بالنساء الأشرار

كاد يكون تسلط النساء الأشرار على الرجال الأبرار أمراً طبيعياً لا مفر منه، ولا مندوحة عنه. حيث لم يخل منه نبي مرسل؛ ولا ولى مبجل، ولا حكيم محترم، ولا أمير نافذ الكلم، ففى تاريخ الخلفاء للجلال السيوطى المتوفى سنة ٩١١ أن جابر بن عبد الله جاء إلى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما يشكو إليه ما يلقى نم النساء فقال عمر: إنا لنجد ذلك حتى إنى لأريد الحاجة فتقول لى ما تذهب إلا إلى فتيات بنى فلان تنظر إليهن. فقال له عبد الله بن مسعود: أما بلغك أن إبراهيم عليه السلام شكأ إلى الله تعالى خلق زوجته سارة فأوحى إليه أنها خلقت من ضلع فألبسها على ما كان فيها ما لم تر عليه وصمة فى دينها. اهـ ولما أكثر أزواج النبي ﷺ العنت والإرهاق فى طلباتهن التى طلبها أنزل الله على نبيه ﷺ قوله (يا أيها النبي قل لأزواجك إن منتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحكن سراحاً جميلاً، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً) فاخترن الله تعالى ورسوله وكففن عن طلباتهن خوف أن يطلقن. وكان سقراط الحكيم المتوفى قبل ظهور سيدنا عيسى عليه السلام بأربعمائة سنة مبتلى على فضله ومعرفته وحكمته بتسلط زوجته زانتى عليه واضهادها له، وكراهيتها لعمله وفلسفته، حتى إنه كان إذا جاءه زائر ليتحدث معه يقول له اخفض صوتك لا تسمعك زانتى فتثور علينا. وأكره ما تكرهه المرأة من زوجها اشتغاله بالعمل والدين والدرس، حكى لى بعض الأصحاب أنه هو مع زوجته من قبيل سقراط مع زوجته، وأنه إذا أراد أن يقرأ عليه كتاباً أو يهىء ما يجب عليه القاؤه للمتعلمين عنده، عمد إلى حجرة

وأغلق عليه الباب واستوثق منه بالرتاج وأخذ في قراءته، فتأتى زوجته وتقلق فكره بضرب الباب والصياح والجلبة وهو لا يبالي بها حتى ينتهى من قراءته. وكم وكم من رجل دين وأدب وعلم يقاسى من تسلط زوجته عليه وبغيها وعدوانها وفحش مقالها ما لا تصبر عليه الجبال، وهو يصبر على نكرها وضرها محتسباً ما أصابه من شرها عند الله تعالى العليم بخفايا الأمور وظواهرها، ذلك الرب الحكيم العدل الذى لا يضيع لأحد مثقال ذرة من عمل عمله إن خيراً وإن شراً، والذى يدعو إلى تحمل هذه الشدائد منها وصبره عليها خوفاً على أولاده أن يتشتت شملهم، ويضطرب أمرهم. لا سيما إن كانوا أطفالاً صغاراً، والمحاكم الشرعية تتصر فى أكثر الأوقات للنساء على الرجال فيحكمون عليه لها ولأولادها منها بأحكام جائزة لا طاقة له بها، فيجد نفسه فى ويل وشر كيفما كان الحال بقاءً، أو افتراقاً. فيؤثر البقاء منتظراً من ربه السميع المجيب فرجه القريب إما باجتياحها أو إصلاح حالها، هذا مع كونه يسألها ويدارها ويضاحكها ويظهر لها كل حب ليأمن على نفسه من شرها، ولربما إذا شق عن قلبه رأى فيه كراهيته لها خفية كما تكرهه هى علناً. ومن الجماعة المبتلين بسوء أخلاق زوجاتهم من يدعو الأدعية المؤثرة طالباً من الله خلاصة مما هو فيه، على الوجه الذى يريده الله ويرتضيه، ومنهم من ينظم القصائد ويقول الأشعار بذلك ليهون على نفسه العبء الذى يحمله، ومنهم من يشكو زوجته للقريب والبعيد، وهذا ليس فيه فائدة بل يدل على ضعف إرادة الشاكى. وماذا عسى أن يعمل له الغريب أو القريب إذا كان هو عاجزاً عن إصلاح ما بينه وبين زوجته؟ وهذا دعاء من رجل صالح مبتلى بامارة سوء وجهه إلى الله تعالى يرجو من فضله وكرمه تحقيق إجابته:

## بسم الله الرحمن الرحيم

من العبد الذليل، إلى الرب الجليل، رب إنى مسنى الضر وأنت أرحم  
الراحمين. اللهم إنك العالم بالسرائر، المطلع على خفيات الضمائر، الغنى  
بعلمك، عن إعلام خلقك. أشكو إليك ما ألقىه، وأكايده وأقاسيه، من  
زوجتى، متعبتى ومزعجتى، وليس لى طاقة على دفع ظلمها، وتجرع كأس  
سمها، بضربها لى شمتها. فخذ لى بحقى منها، وابعدها عنى وابعدى  
عنها. فإليك لجأت مستعيذاً بك من شرها، مستجيراً بك من ضرها. وليس  
ضررها مقصوراً على، بل يتناول كل من حوالى. ونحن فى أيديه أسرى،  
قلوبنا حسرى، وأعيننا عبرى. وجميعنا فى أمرنا حائرون، على أننا على  
ابتلائنا بها صابرون. نتنظر فرجك القريب، يا سميع يا بصير يا مجيب.  
وأنت يا زينا تعلم وترى، وتسمع كل ما منها جرى، وقد حاكمناها إليك،  
متوكلين فى إنصافنا منها عليك، متوسلين بسيد البشر، الذى دعا من شدة ما  
لقىه على مضر. وهو من الأنبياء أولى الصبر والعزم، وذوى العلم والفهم  
والحلم، ولكن إذا تحملت الأجساد ما لا تطيق، تكلمت الألسنة بما لا يليق  
ومطلوبنا منك أحد أمرين، وهما عليك أهون من كل هين، إما إصلاحها،  
أو اجتياحها، وها قد رفعنا ظلامتنا إلى ساحة عدلك، واثقين بكشف ما  
نشكوه منها بمحض فضلك، فاحكم بيننا بالحق وأنت خير الحاكمين، يا  
حسيب الظالمين يا ولى المظلومين.

وهذه أبيات لقائلها يشكو بها إلى الله تعالى زوجته وسوء أعمالها:

يا رب نعماك عندى غير ناقصة      وإن ترانى أدعو فى استزادتها  
وليس بى حادث أشكو تأله      بقدر ما زوجتى تؤذى بعادتها  
غطى على كل ما أشكو أذى امرأتى      وما به تتحيني من إساءتها

وما على توالى من بذاءتها  
وكل ذلك منها بعض آفتها  
من سوء ما فيه تأتي من شاعها  
بكل سوء ونكر من فظاعتها  
يارب بت اتصالي من علاقتها  
فإنه فى بلاء من حماقتها  
إلى مداراتها بل فى سياستها  
وهكذا حالتى تمحى بحالتها  
بمثلها يتلى أو بعض ساعتها

ترى وتسمع يا ربى فعائلها  
ظلمًا وبغيًا وعدوانًا وخطرسة  
لم يخل يوم وأنت الله مطلع  
ويستمر أذاها وهو متصل  
مصيبة نكبة كان الزواج بها  
وارحم فقيرك مما قد ألم به  
وقد صرفت جميع الوسع مجتهدًا  
فما عرفت لها ما تستقر به  
وكل من لم يصدق ما أقول بها

... وهذه قصيدة لقائلها يتبرم من زوجته أيضًا:

أتقنى شرك يا ذات الشرور  
كل شىء خوف إيعاز الصدور  
وأصم ليس عندى من شعور  
شر شيطان رجيم خيتعور  
من فعال كلها لؤم وزور  
ينفع الأموات عمران القبور  
كلما ضمده أضحى يفور  
إنما أظهر بالقهر السرور  
وأنا المظلوم لكنى صبور

قد لزمت الصبر فى كل الأمور  
وتخليت عن الراحة فى  
أدخل الدار كئنى أجرس  
عائذًا بالله من شرك لا  
وأغض الطرف عما قد أرى  
يا (جميلة) اسمًا بلا فعل وهل  
إن فى قلبى جرحًا داميًا  
فإذا ما ترينى ضاحكًا  
أنت لى ظالمة دون أنتها

بانتقام الله من كل كفور  
واستطيلي بسفاه وفجور  
وسميع عالم كل الأمور  
إن ربي في جزاه لا يجور  
إنما أنت كما الكلب العقور  
منكرات شرحها يخنى الظهور  
من شظايا وقعه تغلى القدور  
يحزن القلب ويظفي كل نور  
ومقال منكر بادى الفجور  
من أمور وأمور وأمور  
كاتب يكتب فى هذى السطور  
عندها الصبر ولا شك يخور  
كيدها يفتك بالليث الهصور  
حينما ينفت فوها أو ثور  
غير ما تهوى وما منه نفور  
من صلاة وصيام وطهور  
إن رأتها فهى تغلى وتفور  
من شرور فاترات لا تغور  
مع شبابى صرت كالشيخ الوقور

ومع الصبر فإنى واثق  
فافعللى بى كل أنواع الأذى  
ربى الله شهيد حاضر  
سوف يجزيك جزاء عادلا  
كل ذنب لك لا أغفره  
كم تحملت وكن قاسيت من  
كل يوم منك شر حادث  
كل يوم منك خلف ناجم  
وفعال ليس تحكى رذلة  
فاذكرى إن شئت أولا تذكرى  
فهو شىء ليس يحصى عسده  
هذه حالى وهذى زوجتى  
يا لها من زوجة سليطة  
سمها سم الأفاعى دونه  
لا حلال لا حرام عندها  
تكره الدين وما يتبعه  
كتب العلم لديها آفة  
آه واصبرى على ما أصطلى  
شيبتنى قبل شيبى فأنا

وقال رجل مرضت امرأته فماتت:

وأهناً أوقاتى التى قد قضيتها  
ليالى كانت فى الفراش طريحة  
فقد خفت عنى حمل متعب شرها  
ومع حالها هذى فما كنت سالماً  
وكم كنت أدعو الله عالم حالتى  
وطالت على الاستجابة مدة  
ولكن عدل الله لا بد واقع  
وأمرضها فوراً ليالى أربعا  
عفا الله عنها قد أقلت عثارها  
وقال على إثر موتها:

الله فخرج كـربى  
وضقت ذرعاً بنفسى  
وكـدت أياس مما  
إذ قد دعوت ولكن  
لحكمة منه كانت  
واليوم حمداً لربى  
ماتت فلانة زوجى  
ومات غمى وهمى  
من بعد ما اشتد خطبى  
ضيقاً كأصعب صعب  
أرجوه من عون ربي  
ما كان ربي يلبى  
فما لها قط منبى  
على المحامد يربى  
ومات ضيقى وكربى  
ومات قحطى وجسدى

ومات أسرى وقهرى	ومات شتمى وضربى
ومات طعنى بقومى	وسب أهلى وصحبى
ومات كل بلاء	لقت منها وحرب
سامحتها عن قصور	فى حال بعد وقرب
وانه عنى وعنهما	يعفو وذلك حسبى
فيا رياح سرورى	على فـؤادى هبى
ويا لقحاح رخائى	درى على وصـبى
ويا سـمـاح إلهى	أرجوك عفـو لذنبى
أمنت أن إلهى	يجيب بالمستحب
لكن يؤخر حيناً	من غير مثبت سلب

وقال أحمد رفعت بك عضو مجلس المحاسبات العثمانية فى كتابه  
(لغات تاريخية وجغرافية) فى مادة ماتم ما ترجمته :

مات أحد الأعيان فى مصر فطلبوا فلاناً وهو نداب مشهور فى الماتم  
وبذلوا له عطاء كثيراً (ثلاثة آلاف قرش) ليحضر مآته ويندبه فأبى أن يجيب  
طلبهم معتذراً بأن امرأته توفيت وهو فرح بموتها لما قاساه منها فى حياتها، فلا  
يمكنه أن يتصنع ويظهر الحزن والكآبة فى يوم هو فيه فرح مخافة أن يذهب  
تصنعه بشهرته .

وبعض المبتلين يتلقى القضا بالرضا، ويصبر على ما أصابه، ويتكل  
على الله عالم السر والنجوى، آخذاً قول سيدنا الحسن السبط ابن سيدنا على  
رضى الله تعالى عنهما: من اتكل على حسن اختيار الله لم يتمن أنه فى غير

الحالة التي اختارها الله تعالى له \* قدوة حسنة يقتدى بها وإذا رفع يده لمولاه يقول. يارب علمك بحالي يغنى عن سؤالى. على أن لهذه الورطة التي تورط بها مخلصاً وهو الطلاق، عملاً بما رواه الحاكم وصححه عن أبي موسى الأشعري رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال "ثلاثة يدعون الله عز وجل فلا يستجاب لهم؛ رجل كانت تحته امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها، ورجل كان له على رجل مال فلم يشهد عليه، ورجل آتى سفيهاً ماله" وقد قال الله تعالى: (ول تؤتوا السفهاء أموالكم) لكنه يتوقف عن بت الأمر بالطلاق لأمر يجد أن تحمله لشرها أهون وأخف عليه من تطليقها، لا حباً فيها وكيف يحب من تؤذيه؟ بل لأسباب آخر وربما يعمل بحديث "من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه، ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاه الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون" وفي حديث آخر "لا يصيب أحداً من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول اللهم أجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيراً منها إلا فعل ذلك به" - رواه الإمام أحمد بن حنبل والبيهقى عن أم سلمة - وفى هذين الحديثين ترويح للنفس وتسلية للقلب، وتأميل بنوال القصد. اللهم اجعلنا من الصابرين (الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون).

## باب

### فى عزة الكمال، فى النساء دون الرجال

الكمال فى النساء عزيز بضرب الحجاب عليهن، ومنعهن من الاختلاط بالرجال، وأمرهن بلزوم البيوت. حتى إن طلب العلم الذى هو فرض لسن مكلفات به مباشرة بل على أوليائهن أن يعلموهن اللازم لهن، ولذلك جاء فى الحديث الشريف "طلب العلم فريضة على كل مسلم" - رواه ابن عدى والبيهقى عن أنس والطبرانى والخطيب عن الحسين بن على والطبرانى أيضاً عن ابن عباس وابن مسعود وتام عن ابن عمر والخطيب عن على والطبرانى والبيهقى عن أبى سعيد - ولم يذكر فى الحديث لفظ ومسلمة، ولكن من لا معرفة له بالحديث يلحقها به فيقول طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وحقيقة الحديث ما ذكرت. ومن نبغ النساء فإنما نبوغها عائداً لأحد أمرين، إما أن تكون من بيت نبوة أو ولاية أو علم. فيكون نبوغها موهبة من الله تعالى وهبها إياها ببركة من هى منه، أو أن تكون من بيت وجاهة أو إمارة أو حكم فيقوم وليها بما يلزم من تعليمها، وغير ذلك لا يتيسر إلا قليلاً. ونعنى بهذا النبوغ المحمود فى الدين والشرع، وذلك كتعلم أحكام الدين أصولاً وفروعاً مبادئ ومقاصد، لا النبوغ المذموم فى الشرع والمردود عند العقلاء من أهل العلم، فذلك ليس من الدين فى شىء ولا يعبأ الله تعالى به ولا بمتعلّماته ومتعلميه، ومن علمهم. وذلك بأن تعلم الرقص والعزف على آلات اللهو، وكل ما ابتدعه الأفرنج وعدوه من لازم الحضارة والمدنية. ومن ذلك إجادة فن التمثيل فى المسارح التى يجتمع إليها الدهماء فيقطعون وقتاً من عمرهم بالنظر إليه تليها وتسلياً تحت ستار التربية وتهذيب الأخلاق، اللهم إننا معشر المسلمين حقاً براءة من هذه التربية وذلك التهذيب لا تكتبه يارب علينا

ولا على ذريتنا من بنين وبنات. والدليل على عزة الكمال فى النساء دون الرجال قول الرسول ﷺ "مثل المرأة الصالحة فى النساء كمثل الغراب الأعصم" رواه الطبرانى عن أبى أمامة (الغراب الأعصم الذى إحدى رجله بيضاء) وقوله ﷺ "كامل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد" - رواه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه وأحمد بن حنبل عن أبى موسى الأشعري - وفى حكمة داود عليه السلام: وجدت من الرجال واحداً فى العدد، ولم أجد حدة فى النساء جميعاً اهـ.

وهذه تراجم قسم من النساء الفاضلات ذكرتها لتقتدى بهن نساء أهل زماننا فيما يمكن الاقتداء به رغبة بحصولهن على السعادة إنشاء الله تعالى.

## ١ - آسية بنت مزاحم

هى امرأة فرعون وعمة سيدنا موسى عليه السلام كانت من خيار النساء المعدودات بشهادة رسول الله ﷺ حيث قال "كامل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد" - رواه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه وأحمد بن حنبل عن أبى موسى الأشعري - كانت زوجة فرعون ملك مصر ولكن لم يكن يقدر أن يصل إليها بمنع إلهى حيث كانت مؤمنة وهو كافر، وكان مع ذلك محباً مطيعاً لها لا يصدر إلا عن رأيها، ولها اليد الطولى فى إنجاء ابن أخيها سيدنا موسى من شر فرعون منذ كان طفلاً حيث كان يقتل الذكور من المواليد ويستحى أى يستبقى الإناث، وذلك بسبب ما أخبره به بعض الكهنة أن سيكون هلاكه وزوال ملكه على يد ولد ذكر يولد من بنى إسرائيل، وقد كان ولم يغن عنه حذره شيئاً. وعرف فرعون بعد أنها كانت مؤمنة محامية

عن سيدنا موسى عليه السلام فأقسم بألوهيته لتذوقن الموت أو لتكفرن بالله، فأبت أن تكفر فأمر بها فمدت بين أربعة أوتاد وما زالت تعذب حتى ماتت ولسانها لا يفتر عن ذكر الله، وقد أخبر الله تعالى عنها في القرآن قالت (رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين) وقد جعل الله حالها مثلاً لحال المؤمنين فى أن وصلة الكفرة لا تضرهم حيث كانت فى الدنيا تحت أعدى أعداء الله عز وجل، وهى فى الجنة فى أعلى غرفها رحمها الله تعالى.

## ٢ - مريم ابنة عمران

أم سيدنا عيسى عليه السلام آتاهها الله من كرامة الدنيا والآخرة، واصطفاهها على نساء العالمين فى زمانها، وأثنى الله تعالى عليها بأنها أحصنت فرجها، وأنها صدقت بكلمات ربها، وهى صحفه المنزلة على إدريس عليه السلام وغيره. وكتبه وهى التوراة والإنجيل والزبور، وأنها كانت من القانتين، أى المواظبين على طاعة الله تعالى وعبادته - وهى من نسل هارون أخى موسى عليهما السلام. ولم تكن نبية لأنه لا نبي من الإناث، وإنما هى سيدة نساء زمانها ومن أكملهن. روى الإمام أحمد فى مسنده "سيدة أهل الجنة مريم ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية ثم عائشة.

## ٣ - أمينة بنت وهب

أم رسول الله ﷺ أعطاهها الله تعالى من الجمال والكمال ما كانت تدعى معه حكيمة قومها، ومن الفصاحة والبلاغة ما لم يسبقها إليه أحد من نساء العرب تزوج بها سيدنا عبد الله رضى الله تعالى عنه والذ النبي ﷺ ومات عنها وهى حامل برسول الله ﷺ فلم تتزوج بغيره بعده، بل حافظت على وفائها له بالرغم من قصر المدة التى أقامتها معه، وكانت تخرج من مكة إلى

المدينة حيث كان مدفوناً بالأبواء - على مقربة من المدينة - فتزور قبره إلى أن توفيت ولرسول الله ﷺ من العمر ست سنوات رحمها الله تعالى ورضى عنها. وهى وزوجها ماتا على الإيمان. ويروى أن الله تعالى أحياها إكراماً لنبيه ﷺ فأمنأ به ثم ماتا، ورحم الله تعالى وطنينا الشيخ حسين الجسر المتوفى سنة ١٣٢٧ هـ. حيث يقول فى نظمه لقصة المولد النبوى الشريف:

أظآره أسلمن من بركاته      وحوى فخاراً محتسى فضلاته  
كيف الأصول الحاملات لذاته      أفلا ينلن بجاهه التكرىما  
صلوا عليه وسلموا تسليما

#### ٤ - خديجة بنت خويلد

زوج النبى ﷺ وأولى أزواجه الطاهرات أسهات المؤمنين، وأول من أسلم من الرجال والنساء تزوج بها النبى ﷺ بعد زوجين سبق أن تزوجا بها وماتا عنها، ولها من العمر لما تزوج بها رسول الله ﷺ أربعون سنة وهو ابن خمس وعشرين سنة، فهى أكبر منه سنأ بخمس عشرة سنة. وعاشت معه خمساً وعشرين سنة منها خمس عشرة سنة قبل البعثة، وعشراً بعدها، وتوفيت قبل الهجرة بثلاث سنوات، فقضى رسول الله ﷺ معها زهرة شبابه من غير أن يتزوج عليها. ولا أحب أحداً مثل حبه لها، ورزق منها كل أولاده القاسم والطيب والطاهر وعبد الله ورقية وأم كلثوم وقاطمة وزينب، إلا إبراهيم فإنه من جاريته مارية القبطية التى أهداها له ﷺ المقوقس عظيم القبط فى مصر. وكانت خديجة رضى الله تعالى عنها أعقل العقائل وفضلى الفواضل، وكانت تنعت فى زمن الجاهلية بالطاهرة، وكانت تسلى النبى ﷺ وتهون عليه ما يلاقه ويقاسيه من قومه فى نشر دعوته لدين الإسلام، وتبلغ رسالته إلى قومه وغيرهم، وكانت تعده بنجاح سعيه واستجابة دعوته، فكان

يرتاح لقولها، ويخف عنده ما كان يثقل عليه من أذى قومه وشدتهم. إلى أن توفاه الله تعالى قبل الهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة بثلاث سنين، فاشتد عليه موتها وحزن عليها كثيراً، ولكن حفظ لها أجمل الذكرى بعد موتها فكان يذكرها بالخير كثيراً ويكرم من كانت تعرفها لأجلها، ويتصدق عن روحها ويصل بالبر معارفها وكان إذا أتى بهدية قال " اذهبوا بها إلى فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة، إنها كانت تحب خديجة " ودخلت عليه امرأة عجوز وهو في بيت عائشة فبسط لها رداءه وأجلسها عليه وهش لها وأحسن السؤال عنها، فلما انصرفت سألت عائشة عنها فقال "إنها كانت تأتيها أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان" وما ذكرت خديجة إلا ذكرها أطيب الذكر حتى كانت عائشة تقول: ما غرت من امرأة كما غرت من خديجة لما كنت أسمعه يذكرها وما رأيتها قط. (فقد تزوج النبي ﷺ بعائشة بعد وفاة خديجة بثلاث سنوات ولها من العمر وقتما تزوج بها تسع سنوات) وربما ذبح الشاة ثم قطعها أعضاء ثم بعثها في صدائق خديجة، وربما قلت له لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة؟ فيقول "إنها كانت وكانت، وكان لى منها ولد، وإنى لأحب حبيبها" وأغضبته (عائشة) يوماً فقلت: خديجة خديجة؟ فقال إنى رزقت حبها، وقالت له وهل كانت إلا عجوزاً أبدلك الله خيراً منها - تعنى نفسها - وكانت تدل بحدائث سننها وجمالها وكونه ﷺ لم يتزوج بكرةً غيرها، وبكونها بنت صديقة الأكبر. قالت عائشة: فغضب وقال " لا والله ما أبدلتى الله خيراً منها، آمنت بى إذ كفر الناس وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس، وزقتنى الله منها الولد دون غيرها دون غيرها من النساء" قالت عائشة فقلت فى نفسى لا أذكرها بعدها بسيئة - رواه ابن عبد البر والدولابى - رضى الله تعالى عنها وعن عائشة وجميع أزواج نبينا

الظاهرات أمهات المؤمنين، والغيرة فى النساء أمر طبيعى حتى أنهن ليغرن من الأموات أيضاً. قال الكمال أحسن الله تعالى إليه: وفى الرجلن يقتدى برسول الله ﷺ فى ذكر زوجته المستوفاة بالخير والترحم عليها والدعاء لها بالعمو والمغفرة، وبالتصدق عن روحها بما يتيسر له عملاً ﷺ "إن حسن العهد من الإيمان" - رواه الحاكم عن عائشة - وإنى منهم والله الحمد ونعم هذا الاقتداء لأهل المروءة والوفاء. قال الله تعالى (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) فإنى لا أنسى زوجتى قدسية وحميدة من دعوات صالحات لهما وصدقات عنهما.

### ٥ - عائشة الصديقة

بنت سيدنا أبى بكر خير من طلعت عليه الشمس بعد الأنبياء والمرسلين، رفيق رسول الله ﷺ فى الغار، ومعينة فى الأسفار، ووزيره فى عهده، وخليفته بحق من بعده. وزوجة الرسول الأعظم سيدنا محمد ﷺ وأحب أزواجه إليه بعد خديجة، وأكثرهن عليه إدلالاً. تزوج بها وهى بنت تسع سنوات وهو ﷺ ابن أربع وخمسين سنة، وأقام معها تسع سنوات، ومات عنها وهو ابن ثلاث وستين سنة، وهى بنت ثمانى عشرة سنة. وعاشت بعده خمسين سنة وتوفيت ولها من العمر ثمان وستون سنة، ولم يرزق منها ولا من غيرها من أزواجه الإحدى عشرة زوجة ولدًا إلا من خديجة. وقد كانت جميلة الصورة، حسنة الخلق، حلوة المنطق، فصيحة اللسان، جيدة القريحة، زينة الرأى، رصينة العقل. وعت من أحاديث النبى ﷺ ما لم تعه امرأة من نساته، وروت عنه ما لم يرو مثله أحد من الصحابة إلا أبا هريرة وعبد الله بن عمر. وكانت أفقه الناس وأعلمهم حتى بالطب والشعر. قال أبو بردة عن أبيه أبى موسى الأشعري: ما أشكل علينا أمر

فسالنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها علما فيه: وقال ابن شهاب الزهري المتوفى سنة ١٢٤: لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبي ﷺ وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل وأكثر. وقال أبو الضحى عن مسروق: كان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض اهـ. وكانت كاملة الفضل تامة الأدب، حازمة ثابتة شجاعة مقدمة، حضرت وقعة الجمل بنفسها فكانت تحض الرجال على الحرب وتشجعهم، وكان الناس يسألونها عما يحتاجون إليه فتفتيهم وهي من وراء حجاب. مع أنها إحدى أمهات المؤمنين أزواج رسول الله ﷺ اللاتي حرم الله على الناس من بعده أن يتزوجوا بهن أبداً. فأين نساء زماننا منها في بعض. اشتملت عليه من الأوصاف التي ذكرناها؟ وقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة منها حديث "فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام" ووجه التشبيه أن الثريد جوامع بين العذراء واللذة والقوة وسهولة التناول وقلة المؤنة في المضغ، وسرعة المرور في المرىء، فضرب به مثلا لفضلها. توفيت سنة ٥٨ في أيام خلافة معاوية قالت رضى الله تعالى عنها: كنت إذا هويت شيئاً تابعتني عليه رسول الله ﷺ وكنت إذا شربت من الإناء أخذه فوضع فمه على موضع فمى وشرب، كان يتكئ في حجرى ويقر القرآن، وكان إذا غضب عرك بأنفى وقال "يا عويش قولى اللهم رب محمد اغفر ذنبى واذهب غيظ قلبى وأجرنى من مضلات الفتن، قال علماء الحديث ومع ذلك لم يكن رسول الله ﷺ يفضلها على أقل أزواجه مزايا في الخلق والخلق، والذكاء والنسب بشيء من النفقة أو المبيت أو حسن العشرة. بل كان يقسم بينهم بالسوية رعاية للعدل، ومن أولى من رسول الله ﷺ بالعدل فى المعاملة.

## ٦ - فاطمة الزهراء

بنت رسول الله ﷺ وأحب بناته إليه وأكرمهن وأعزهن عليه، وزوجة سيدنا علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه، وأم السيدين الكريمين سيدنا أبي محمد الحسن وسيدنا أبي عبد الله الحسين، وغيرهما من النسل الطاهر الشريف. كانت رضى الله تعالى عنها لينة العريكة، دمنة الأخلاق، حسنة الإدارة لبيتها، مطيعة لزوجها، غير مترفعة عليه، برة بأولادها، محسنة لهم ذات ورغ متناه وكمال زائد، وعقل باهر، كيف لا وهى بضعة - أى قطعة - من رسول الله ﷺ وأما خديجة الكبرى رضى الله تعالى عنها. وهى أفضل نساء العالمين لا يعذلها فى الفضل أحد منهن، وإحدى الكاملات اللاتي ورد الحديث الشريف بذكرهن وهو "كامل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد" وقد تقدم ذكر هذا الحديث عند ذكر هؤلاء. ولدت قبل الهجرة بشماني عشرة سنة، وتوفيت بعدها بإحدى عشر سنة بعد والدها النبي الأعظم ﷺ بستة أشهر كما أخبرها بهذا وهو فى حالة الاحتضار بأنها أول أهله لحوقاً به، ولها من العمر تسع وعشرون سنة. ولها من النسل الطاهر الحسن والحسين وزينب وغيرهم، وكلهم من سيدنا علي رضى الله تعالى عنه ولم يتزوج عليها فى حياتها أصلاً وأما بعد وفاتها فتزوج بكثير.

## ٧ - السيدة زينب

أمها فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ وأبوها علي بن أبي طالب، وأخواها الحسن والحسين، وزوجها ابن عمها عبد الله بن جعفر الطيار بن أبي طالب، وأولادها منه عون وعباس ومحمد وأم كلثوم رضى الله تعالى عنهم أجمعين، كانت السيدة زينب على جانب عظيم من المهابة والوقار، والحرمة

والاعتبار، تقية نقية ذات كرامات كثيرة شهيرة، وأعمال خيرية مأثورة، ولها المواقف العظيمة المعلومة والخطب البليغة المؤثرة يوم قتل أخوها السيد الحسين بالطف من كربلاء في بلاد العراق. توفيت سنة خمس وستين من الهجرة والمرجح عند جمهور كبار المؤرخين أنها مدفونة في البقيع في المدينة المنورة حيث أمها فاطمة وأخوها الحسن ورأس أخيها الحسين مدفونون ثمة، وأما مقام السيدة زينب المشهور اليوم بالقاهرة في مصر الذي يزار ويتبرك به ويدعى عنده فتحصل الإجابة لمن زاره ودعا عنده فهو مقام السيدة زينب بنت الإمام عبد الله المحسن بن الإمام الحسن المثنى بن الإمام الحسن البسيط. أخى السيدة المشار إليها، واتحاد الاسمين أوجب الظن بأنه مقام السيدة زينب بنت الإمام علي والكل من أهل البيت<sup>(١)</sup>.

## ٨ - السيدة سكينه

بنت سيدنا الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم، تزوج بها مصعب بن الزبير فقتل، فتزوج بها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم فمات عنها، فتزوج بها الأصبع بن عبد العزيز بن مروان وفارقها قبل الدخول بها، فتزوجها زيد بن عمر بن عثمان بن عفان فأمره سليمان بن عبد الملك بطلاقها ففعل لحزازات بين الأمويين وآل بيت النبي ﷺ.

كانت سيدة نساء عصرها وأجملهن وأظرفهن وأحسنهن خلقاً وخلقاً، وأعلاهن مقاماً، وأوفرهن ذكاءً. وعقلاء وأدباً وعفة. وكانت تجالس الأجلة

(١) من أراد زيادة الاطلاع وتحقيق هذا المبحث فليراجع كتاب السيدة زينب الذي قام بطبعه الأستاذ حسن محمد قاسم أخيراً بمطبعتها. فقد أثبت فيه مؤلفه أن السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب هي المدفونة بمصر بالمقام الزيني الشهير. اهـ مصححه.

من قریش، وتجمع إليها الشعراء وتبحث في شعرهم وتتقد ما تراه محلاً للنقد لما كانت عليه من الخدق، ولها في هذا الباب نوادر وحكايات مستظرفة جداً، وكانت تزین المجالس بعلمها وأدبها، وبالأسئلة التي تطرحها على الشعراء والأدباء، وكان الناس يقدون عليها لمحاضرتها توفيت سنة ١١٧ .

### تنبيه تمويه

قامت امرأة شابة جميلة تتخذ التمثيل - أي الوقائع التاريخية السالفة في المسارح العامة للدهماء - أي جماعة الناس - حرفة لها تحت ستار نشر الفضيلة والدعوة للأخلاق الجميلة، وهي على أظهر ما يكون من التبرج والتزين والاكتماء الذي هو أشبه بالعرى، مع التكسير في الأوضاع والثني في الأعطاف، والتمايل في الأطراف، مما القصد به جلب الناس إلى حبها وفتنهم بها. قامت هذه المخلوقة برحلة تجوب عباب البحار، وتقطع بباب الفقار إلى شاسع الأقطار، ومعها من هم على شاكلتها من نساء ورجال، فاعترض على عملها هذا الذي رآه منها ومن زمرتها شائباً في السلام معترض بحجة أنها مسلمة وأن الإسلام لا يبيح لها السفر بلا زوج أو محرم فضلاً عن هذا التهنك التي هي متلبسة به، وكان قد علمت أو علمت من قبل فقالت ترد عليه: إن السيدة سكينه كانت تجالس الرجال وتحادثهم وتحاضرهم وهي ما خرجت عن كونها مثلها في عملها، فلم نسمع من اعترض على السيدة سكينه، واحتدت وتغيرت أو ضاعها لهذا الاعتراض الذي دهمها. فتدخل الدهماء من الحاضرين للانتصار لها من ذلك الرجل المعترض والعوام كالأنعام بل هم أضل حرصاً على أن لا يفوتهم شيء من رؤية حركاتها وسكناتها المهذبة للأخلاق والنميه لروح الفضيلة في تلك الأجسام التي صرفت وقتها ونقدها للحصول عليه وغلبت صولة الباطل على قول الحق وعاد المسرح إلى

عمله بما فيه . ونحن نقول : إن بين السيدة سكينه الشريفه العفيفه النقيه وبين هذه الممثله المترجله الخ بونا شاسعاً كما بين السماء والأرض ، فتلك كانت تجالس الأجله من رجال قريش مستتره متحجبه كما تأمر به شريعه جدها الرسول الأعظم ﷺ وتحاضرهم وتذاكرهم بمسائل الدين من حديث وفقه وتفسير وأدب وشعر فى وقت دون وقت ، لا إنها تتخذ التمسيل أى حكاية الوقائع الماضيه حرفه لها أمام أخلاط الناس تبتز بها أموالهم وتسترق بها أجسامهم وتفتنهم بما تبديه من خلاعه ورقاعه مما يعبر عنه بجوده الصناعه ، فيبينها وبينها كما بين الظلمات والنور ، والظل والحرور ، ومن هم على ظهر الأرض وفى بطون القبور .

### ٩ - السيدة فاطمة النبويه

هى أخت السيدة سكينه السالفه الذكر وزجها ابن عمها الحسن المثنى بن الحسين السبط ابن الإمام على وابنها الإمام عبد الله المحصن دفين مصر القاهره بالمسجد المعروف باسم مسجد الشيخ عبد رضى الله تعالى عنهم . كانت كريمة الأخلاق طاهرة الأعراف ، تكافئ على الجميل القليل بالكثير الجزيل . ومن كلامها : والله ما نال أحد من أهل السفه بسفهم شيئاً ، ولا أدركوا من لذاتهم شيئاً ، إلا قد ناله أهل المروءات فاستتروا (بصبغة الأمر) بجميل ستر الله تعالى . توفيت سنة عشر ومائة رضى الله تعالى عنهم .

### ١٠ - السيدة نفيسه

هى بنت سيدنا الحسن بن زيد بن على زين العابدين بن سيدنا الحسين السبط ابن سيدنا على وزوجه السيد اسحق بن سيدنا جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن سيدنا الحسين السبط رضى الله تعالى عنهم أجمعين . كانت صالحه زاهده تقيه نقيه صلاحاً وزهداً وتقى ونقاء لا مزيد

عليه، تقوم الليل وتصوم النهار وتكثر البكاء من خشية الله حتى قيل لها ترفقى بنفسك لكثرة ما رأوا منها. فقالت: كيف أرفق بنفسى وأمامى عقبة لا يقطعها إلا الفائزون. حجت ثلاثين حجة وكانت تحفظ القرآن وتفسيره ولا تأكل إلا أكلة واحدة في كل ثلاث ليال، سمع الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه الحديث الشريف عليها من وراء حجاب وطلب منها أن تدعو له ومات قبلها بأربع سنوات، فأدخلت جنازته عليها فصلت عليها فى دارها. وكانت ذات مال فكانت تحسن للإمام الشافعى، وكان يصلى بها فى رمضان. ولدت بمكة سنة خمس وأربعين ومائة ونشأت فى المدينة المنورة على العبادة والزهد، وتوفيت فى شهر رمضان سنة ثمان ومائتين ودفنت بمزلها المعروف بخط درب السباع فى مصر ولها من العمر ثلاث وستون سنة. وقد حفرتم قبرها فيه وقرأت فيه مائة وسبعين ختمة، وتوفيت وهى صائمة فألزموها الفطر فقالت: واعجبا أنا من منذ ثلاثين سنة أسأل الله تعالى أن ألقاه صائمة أفطر الآن؟! هذا لا يكون. وخرجت من الدنيا وقد انتهت فى قراءتها إلى قوله تعالى قل لمن ما فى السموات والأرض قل الله كتب على نفسه الرحمة).

## ١١ - السيدة عائشة النبوية

هى بنت جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسن السبط ابن الإمام على وأخت الإمام موسى الكاظم رضى الله تعالى عنهم أجمعين. كانت من العابدات الزاهدات المجاهدات للنفس فى سبيل الله تعالى، ماتت سنة خمس وأربعين ومائة ودفنت فى المسجد المعروف باسمها فى مصر على طريق الذهاب إلى قرافة الإمام الشافعى، وأهل مصر يعتقدون بها وبجميع من هو مدفون بمصر من آل البيت، ويتبركون بزيارة قبرها

وقبورهم رحمهم الله تعالى رحمة واسعة، ونفحنا بنفحاتهم، وأعاد علينا من  
بركاتهم.

## ١٢ - الخنساء

هي تماضر بنت عمرو بن الشريد الصحابية الجليلة، والخنساء صفة لها  
ومعناه المتأخر أنفها عن وجهها مع ارتفاع قليل في الأرنبة، والمذكر أحنس.  
حضرت الحرب ومعها أولادها الأربعة فكانت تشجعهم على الإقدام والجهاد  
في العدو ابتغاء وجه الله تعالى حتى قتلوا، فلما بلغها قتلهم حمدت الله  
تعالى على أن رزقهم الشهادة وسألته أن يجزيهم خيراً في الآخرة، فكانت  
المثل الأعلى للصابرين والصابرات حيث لم تجزع على مصابها بهم. وأجمع  
علماء البلاغة على أنه لم تكن امرأة قط قبلها ولا بعدها أشعر منها، لا سيما  
ما ورثت به أخاها من أبيها صخرًا. ومن أخبارها أنه خطبها دريد بن الصمة  
من أبيها وكان طاعنًا في السن، فقال له أبوها إنك الكريم الذي لا يطعن في  
حسبه، ولكن لهذه المرأة في نفسها ما ليس لغيرها، وإنما أذكرك لها. ثم دخل  
عليها وقال يا خنساء. أتاك فارس هوازن وسيد بنى جشم دريد بن الصمة  
يخطبك وهو ما تعلمين؟ فقالت: يا أبت أتراني تاركة بنى عمى مثل عوالى  
الرماح وناكحة شيخ بنى جشم هامة اليوم أو غد؟! وأبت أن تتزوج به لكبر  
سنه ودنوه من الموت. وفي هذه الحكاية ما يدل على أن النساء يكرهن الكبير  
في السن ولو كان عظيمًا كما قال الشاعر:

من كان آدم جملا في سنه      كرهته حواء السنين من الدمى

توفيت الخنساء سنة أربع وعشرين من سنى الهجرة رحمها الله ورضى

عنها

## ١٣ - بكاره الهالاه

من نساء العرب الموصوفات بالشجاعة والإقدام والفصاحة، والشعر والنثر والخطابة، حضرت مع سيدنا على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه حرب صفين، ولها مقالات حماسية جعلت كل من سمعها يقدم فى الحرب بدون مبالاة. وكانت مثال المرأة الصادقة لم تدرس نفسها بكذب، ولذلك أثار قولها فى الرجال فتبادروا موارد المهالك فى تلك الحرب، وهكذا ينبغى للمرأة أن تتجنب الكذب فإن الكذب فى حد ذاته قبيح وهو فى النساء أقبح، لأن المرأة متى كذبت خانت ففسقت ولا خير فيها حينئذ. قال عامر بن الطرب العدوانى حكيم العرب - وكان من المعمرين فقد عاش مائتى سنة - إنى وجدت صدق الحديث طرئاً من الغيب، فاصدقوا تصدقوا. يعنى أن من لزوم الصدق فى أقواله أصاب بظنه، فلا يقول عن شىء فى المستقبل أنه سيكون كذا إلا جاء على وفق ما قال.

توفيت بكاره الهالاه

## ١٤ - الحرقة بنت النعمان بن المنذر

كانت من أفصح نساء زمانها مقالا، وأوفرهن جمالا، وأكملهن عقلا، وأعظمهن أدبا، غير أن الدهر قلب لها ظهر المجن فتغيرت حالتها: وذهبت نعمتها، فلم يغير شىئا من كرم أخلاقها، حسن طباعها، ورباطة جأشها. بل صبرت على ما أصابها حتى توفيت أيام سعد بن أبى وقاص المتوفى سنة خمس وخمسين، ومن كلامها: إن للدهر عشرات تعثر بالملوك وأبنائهم. فتخفضهم بعد رفعه، وتفردهم بعد منعه، وتذلهم بعد عزة، وكذلك الدهر ليس يأتى قوماً بمسرة إلا أعقبهم حسرة.

## ١٥ - رابعة العدوية

هي رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية. مولاة آل عتيك، اشتهرت بالنسك والعبادة وتقديسه وتمجيده، ورضيت من الحياة بالكفاف من العيش، والصوف والشعر من اللباس، وكان يغشى عليها إذا سمعت ذكر الله تعالى من هيته في قلبها جل جلاله. وبلغت الثمانين من عمرها وهي لا تزداد إلا عبادة وتقوى، وكان كفنها معها أينما توجهت، وكانت تقوم الليل كله بالصلاة فإذا طلع الفجر هجعت هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر، فتقوم من نومها فزعة تقول يا نفس كم تنامين؟ وإلى كم تنامين؟ يوشك أن تنامى نومة لا تقومين منها إلا بصرخة يوم البعث والنشور. وكانت تقول إلهاي ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك، بل حبالك وقصد لقاء وجهك. توفيت سنة خمس وثمانين ومائة، وأخبرت عنها أليفتها في حياتها، ورفيقتها في عبادتها، عبدة بنت أبي شوال أنها رأتها في منامها بعد موتها في نعيم عظيم، فقالت لها مريني بأمر أتقرب به إلى الله عز وجل فأنال مثل ما نلت؟ فقالت لها عليك بكثرة ذكر الله تعالى، فإنه يوشك ان تغتبطى بذلك في قبرك رحمها الله ورضى عنها.

## ١٦ - شيرين

هي من ولد خسرو (كسرى) نو شيروان، وزوجة أبرويزين بن هرمز، تزوج بها ففوض إليها أمره، واستوثق منها بأن لا تمكن منها أحداً بعده، وكانت من أجمل النساء وأظرفهن، ومثالا أعلى في الوفاء لزوجها المذكور. وذلك أن شيرويه ولد زوجها من غيرها لما قتل أباه أبرويز المذكور واستولى على ملكه بعث إلى شيرين يدعوها لنفسه، فامتعت عليه وأبت أن تحييه لما طلبه، فغضب عليها وغضب منها ضياعها وعقارها وذخائرها وكل أموالها،

وقذفها بالفاحشة وماها بكل معضلة، فلما بلغها هان عليها ما أخذه من الأموال دون ما رماها به من الإفك والافتراء عليها، فبعثت إليه تقول أيها الرجل إن لم يكن بد مما سألت فاقض لى ثلاث حاجات، رد على ضياعي وأموالي، واصعد على منبرك بمحضر من مرازبتك وأساورتك وعظماء أهل مملكتك وتبراً مما قذفتنى به، وأمر بفتح النافس الذى فيه أبوك فإن عندى وديعة له أريد أن أردّها إليه فأجابها لما طلبته. فلما فتح لها باب النافس وكان معها خاتم فيه سم ساعته فوضعتة فى فيها وعانقت زوجها ومات بالحال، فسمحت بنفسها وفاء لزوجها بما وعدته به من أنها لا تنتقل إلى أحد بعده. وهى ليست مؤمنة حتى أنه لا سبة عليها ولا عار لو قبلت ابن زوجها أن يحل محل أبيه منها فى دينها، ولكن الثبات على صدق الوفاء من أفضل ما تتحلى به النساء، وأين منها الست لطيفة بنت فريد باشا الياقى فقد استفاضت الأخبار عنها بواسطة الجرائد أنها أحببت ابن أخى زوجها فاتفقت معه على سم عمه ليحل منها محلّه؟! وهو من وجوه الشام وسرتها المعروفين ومن الشبان الذين لم يتجاوزوا الأربعين من عمرهم ولها منه عدة أولاد، ولكن غلبت عليها شهوتها - بل شقوتها - فسمت زوجها بتديير ابن أخيه فذهب شهيداً لرحمة الله تعالى وأبت عدالة الله أن يذهب دمه هدراً فظهرت حقيقة المسألة وحكم على الزوجة المذكور وعلى معشوقها ابن أخيه بالإعدام جزاء ما عملاه، إلا أن الحاكم الأكبر الفرنسوى فى الشام بدل حكم الإعدام بالسجن المؤبد وقدره عشرون عاماً فهما اليوم محبوسان حتى تنقضى المدة التى استبدلت بالإعدام، وليس هذا الحبس حتى ولا إعدام بالحكم الذى يبرؤهما يوم القيامة لأن الحدود فى الدنيا زواجر لا جوابر، فمن فعل فى الدنيا ما يستوجب عليه العقاب فعوقب عليه فعقابه إنما هو زاجر لغيره عن فعل ما

فعله لا جابر لتلك الفعلة التي فعلها، بل لا بد أن يعاقبه الله تعالى عليها في الآخرة، أو يعفو عنه إذا شاء، وستصبح خيانة لطيفة لزوجها مثلاً سائراً كما أصبح وفاء شيرين لزوجها مثلاً سائراً، كل امرئ بما كسب رهين، والناوس صندوق من حج واحد يضع فيه الكفار في القديم ملوكهم بعد الموت، ومثبه نواويس فراغة مصر وقياصرة الروم وغيرهم.

## ١٧ - فاطمة بنت عبد الملك بن مروان

كانت فصيحة أديبة ذات دين وورع لم يسبق إليه أحد من نساء بني أمية، تزوجت بعمر بن عبد العزيز قبل أن يتولى الخلافة فغمرها بأمواله؛ وأرضاهما بنواله، وعاشت معه في رفاهية ونعيم، فلما آلت إليه الخلافة وكان على منهج الخلفاء الراشدين قال لها إن أردت صحبتي - أى بقاء الزوجية بيني وبينك - فردى ما معك من مال وحلى وجواهر إلى بيت مال المسلمين فإنه لهم، فردته جميعه وبقيت معه فى عيشة التقشف والزهد إلى أن مات بعد سنتين من خلافته سنة واحدة ومائة فانتقلت الخلافة إلى أخيها يزيد بن عبد الملك فقال لها: إن عمر ظلمك فى مالك وإنى رددته إليك فخذي، فقالت كلا والله لا أخذه فما كنت لأطيعه حياً وأعصيه ميتاً، وبقيت فى حالة زهد وعبادة وورع حتى لحقت بزوجها رحمها الله ورضى عنه.

## ١٨ - الخيزران

أم هارون الرشيد وزوجة أبيه محمد المهدي، أجمع المؤرخون على أن جميع الأعمال الطيبة والأفعال الحسنة التي قام بها المهدي فأكسبته الشهرة الفاتحة إنما كانت بتأثير زوجته الخيزران هذه، وكانت ذات جمال وبهاء وكمال وأدب ولطف، وحلت من زوجها فى مكانة عظيمة، وتقدمت فى خلافته تقدماً زائداً امتد إلى زمن خلافة ولدها موسى الهادي فشاركته فى إدارة أمور

المملكة، وكان كثير الطاعة لها مجيباً لما تطلبه منه من قضاء حاجات الناس ثم انقلب عليها بعد ذلك لما رأى من كثرة المتوسلين بها وتردد الناس عليها لقضاء حاجاتهم فمنعها من التدخل فى أمور الملك وأراد قتلها وهى أمه فبعث إليها بطيخ أرز مسموم وقال لها قد استطبتة فكلى منه، فقيل لها امسكى حتى تنظرى وجىء بكلب، فأطعم منه فصقت لحمه ومات لوقته، فأرسل إليها ابنها كيف رأيت الأرز؟ فبيعتت تقول له إنه طيب، ما أكلت منه ولو أكلت لاسترحت منك، ومتى أفلح خليفة له أم؟! ويقول المؤرخون إنها اقتصت منه وجرتة على عمله بمثله وذلك أنها أمرت جواريتها فقتلته، وقيل إن سبب قتلها له أنه أراد أن يخلع أخاه هارون الرشيد من ولاية العهد ويجعلها فى ابنه جعفر، فخافت الخيزران على ابنها الرشيد أن تذهب الخلافة منه فأمرت جواريتها بقتل ولدها موسى الهادى، وصادف أنه كان مريضاً فقتله بالغم والجلوس على وجهه، فلما ولى الخلافة أعاد لها ما كانت عليه من العز والنفوذ إلا أنها كفت من نفسها من التدخل فى الأحكام حتى توفيت فى خلافته، فأخرجها باحتفال عظيم لم ينله غيرها من نساء الخلفاء سنة ثلاث وثمانين ومائة.

## ١٩ - السيدة زبيدة

أبوها جعفر وعمها المهدي وجدها المنصور وزوجها هارون الرشيد وابنها محمد الأمين وكلهم خلفاء، فأحاطت بالخلافة من كل جانب. تزوج بها هارون الرشيد سنة خمس وستين ومائة وكان يحبها ويكرمها كثيراً، وكانت هى أيضاً شديدة البر به والاحتفاظ بكرامته حريصة على مرضاته، وكانت ذات خير معروف وفضل وكرم وتقوى وصدقات متواصلة ومال كثير أنفقت منه فى سبيل الله وفى الحج وفى بناء المساجد والملاجئ للغرباء. والمطاعم للفقراء مليوناً وسبعمائة دينار، ولها خيرات كثيرة غير ذلك فأنها سقت أهل

مكة الماء بعد أن كن الراوية عندهم بدينار لندرة وجوده - الراوية وعاء صغير من الجلد دون القرية يوضع فيه الماء - وأجرت المياه تحت الجبال والصخور حتى أوصلته إلى مكة المكرمة، ولم تزل هذه المياه موجودة إلى الآن باسم عين زبيدة يستقى منه جميع أهل مكة ومجاريها وعليها مدار شربهم وزبيهم، وهو ماء كثير يكفى كل من فيها ومن يرد عليه لولا أن بعض أصحاب النفوذ كانوا يغصبون مقداراً كبيراً منه ويسوقونه إلى أراض لهم ليجعلوا منها بساتين وجنائن، فهم يضيقون على عباد الله ما به قوام حياتهم وكثير منهم يتعمد ذلك التضييق في أيام الحج ليباع الماء بأكثر من ثمنه المعتاد لا يسامحهم الله، وكان للسيدة زبيدة رحمها الله تعالى مائة جارية يحفظن القرآن عن ظهر قلب "استظهاراً" ولكل واحدة منهن ورد منه تقرأه فكان يسمع في قصرها كدوى النحل من قراءة القرآن، وكان للعلماء والأدباء اجتماعات تعقد في مجالسها لنشر العلم وتقدير قدر أهل الفضل، وما زالت على هذه الحالة الحسنة حتى مات زوجها الرشيد واستخلف ولدها الأمين، وجرى بينه وبين أخيه لأبيه المأمون ما جرى مما أدى إلى قتل ولدها الأمين فساء حالها، ولكن المأمون عطف عليها وجمل حالها وأحسن إليها بعد ما استتب له الأمر واعتذروا لها عن تقصيره لما كان مشغولاً فيه، وقال لها: ما جفوتك تعمداً ولكن شغلت عنك. فقالت له يا أمير المؤمنين إذا حسن رأيك لم يوحشني شغلك، فكان يوجه إليها في كل سنة مائة ألف دينار ومليون درهم حتى توفيت قبله بستين سنة ست عشرة ومائتين رحمها الله تعالى.

## ٢٠ - عليّة بنت محمد المهدي

أخت هارون الرشيد، كانت أحسن نساء زمانها وجهاً، وأظرفهن خلقاً، وأوفرهن عقلاً ذات عفة وصيانة وأدب بارع، وفضل رائع، وآثارها الأدبية في

كتب الأدب من منظوم ومثور كثيرة تشهد لها بفضلها، وكان أخوها هارون الرشيد يجعلها ويبالغ في إكرامها، وكانت إذا طهرت لازمت العبادة فإذا لم تكن طاهرة لحيض أو نفاس غنت لنفسها في قصرها، ومع الغناء والشعر الغزلى الذى كانت تقوله كانت من العفاف الحصائف، عاشت خمسين سنة وتوفيت سنة عشر ومائتين بعد أخيها هارون الرشيد بسبع عشرة سنة فى خلافة المأمون ابن أخيها رحمها الله تعالى .

## ٢١ - بوران

هى بنت الحسن بن سهل وزير الخليفة عبد الله ابن هارون الرشيد وزوجته، تزوج بها فى رمضان سنة عشر ومائتين . كانت أحسن نساء زمانها وأجملهن وأكرمهن وأفضلهن أديباً وأوفرهن عقلاً . رباها أبوها أحسن تربية، وخالطت نساء الخليفة هارون الرشيد فاكسبت من أدبهن ما أهلها لأن تكون واحدة منهن، وقد أنفق والدها يوم زفافها للمأمون ما لم ينفقه أحد، فقد كتب رقاعاً بأسماء عقارات وضياع وقرى ونثرها على الحاضرين فكل من وقعت بيده رقعة تملك ما فيها، ولما أدخلت على المأمون عراها من هيئة الملك ما غير عادة حيضها فحاضت بالحال، فلما أراد المأمون أن يدنو منها قالت له: أتى أمر الله فلا تستعجلوه، فكيف عنها وأعجب بحسن جوابها، وكانت لها عنده اللحظة التامة حتى توفى عنها سنة ثمانى عشرة ومائتين بعد ما أقامت معه ثمانى سنوات، وعاشت بعده ثلاثاً وخمسين سنة، وتوفيت سنة إحدى وسبعين ومائتين ولها من العمر ثمانون سنة ولقد حسدها نساء أهل زمانها على اتصالها بالخليفة حتى ظهر حسدهن على لسان بعض الشعراء حيث قال:

بارك الله للحسن      ولبوران فى الختن

يا إمام الهدى ظفر      ت ولكن بينت من!

وفى البيت الأخير إيهام الاستخفاف والإعجاب وهو من أنواع البذيع .  
ومثله قول الشاعر فى خياط أعور خاط له قباء :

خياط فى زيد قباء ليت عينيه سواء  
قل لمن يسمع قولى إذا مديح أم هجاء؟

## ٢٢ - قطر الندى

هى بنت خمارويه ملك مصر المتوفى سنة ٢٨٢ ابن أحمد بن طولون  
وزوجة الخليفة المعتضد بالله العباسى، أنشأت فى قصرها حلقة تجتمع فيها  
الأدبيات الفاضلات والنساء التابغات، فيحثن فى الموضوعات العلمية  
ويتطارحن الأسئلة المفيدة، ولما مات زوجها وأفضت الخلافة إلى ولده المقتدر  
بالله وكان حديث السن تدخلت هى فى الأحكام وقبضت على زمام الحل  
والعقد فكانت تقابل الوزراء والسفراء وأرياب المناصب، وتجلس للنظر فى  
المظالم وطلبات الناس كل جمعة وتوقع عليها بما تقتضيه الحالة .

## ٢٣ - ولادة

هى بنت المستكفى بالله محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الناصر  
لدين الله الأموى، واحدة زمانها المشار إليها بالبنان، حسنة المحاورة، دائمة  
المذاكرة، ذات صيانة وعفاف، أديبة شاعرة جزلة القول حسنة الشعر ومنه  
قولها:

أحافظكم تجرحنا بالحشا ولحظنا يجرحكم فى الحدود  
جرح بجرح فاجعلوا ذا بذأ فما الذى أوجب هذا الصدود

وكانت تناضل الشعراء، وتجادل الأدباء، فتفوق البارعون منهم . وكان  
مجلسها بقرطبة فى بلاد الأندلس (بأسبانيا) منتدى لاجتماع الأدباء ووفود

الشعراء لحلاوة عشرتها، وكرم نسبتها، وزيادة طهارتها، وعفتها وصيانتها،  
وحسن سلوكها. فلا تقسها بنساء هذا الوقت المتبرجات المتهتكات فإن لها من  
كرم أصلها وشرف دينها رادعها يردعها يدنس عرضها، فهى كما قال جرير  
الخطفى الشاعر:

حور حرائر ما شمن بريبة كظباء مكة صيدهن حرام  
يحسبن من لين الكلام زوانيا ويصدهن عن الحنا الإسلام  
وعمرت عمراً طويلاً ولم تتزوج حتى توفيت سنة ثمانين وأربعمائة بعد  
ما لاقت من الزمان زعزعا ورخاء، وشدة ورخاء، رحمها الله تعالى.

## ٢٤ - شجرة الدر

هى زوجة الملك الضالع نجم الدين أيوب الكردى الحاكم فى مصر  
المتوفى سنة ٦٤٧ كانت امرأة عاقلة مهذبة خبيرة بالأمر، ذات حزم ومعرفة  
تامة بأحوال المملكة، فكانت تدبر الأمور فى حياة زوجها، وكان يرجع إليها  
ويستشيرها فى الأمور المهمة، وكان الخطباء يخطبون باسمها على المنابر، فلما  
مات زوجها قامت هى بالأمر بعده فساست الرعية بحسن تديرها ووفور  
عقلها وخبرتها، إلا أن بعض الناقمين عليها أغرى جواريتها بها وأفسدهن  
عليها فقتلنها وهى فى الحمام بالقبايب حتى ماتت رحمها الله تعالى سنة  
٦٥٠ هـ

## ٢٥ - عائشة الباعونية

هى بنت القاضى يوسف أحمد بن ناصر الدين الباعونى - نسبة إلى  
باعون قرية من قرى عجلون فى جبل الدروز - ولدت بدمشق ونشأت فى  
بيت معروف بأن كل من نسب إليه عالم أو أديب أو مؤرخ أو محدث،

وكانت ذكية بفطرتها ميالة للعلم وقرض الشعر من صغرها، حفظت القرآن الكريم عن ظهر قلب وهي بنت ثمانى سنوات، وتقلت الفقه والنحو والعروض على علماء عصرها، ثم انصرفت للنظم والتأليف. ومن آثارها النفسية قصيدتها البديعية التى سارت مسير الشمس فى شهرتها، مدحت بها النبى الأعظم ﷺ بأنواع البديع من غير تسمية النوع، ولها غيرها من مدح وغزل ونسيب وتشبيه، وقد أجلها علماء عصرها وكتبوها ومدحوها وقابلتهم هى بالمثل، وتلمذت فى مصر على العلامة أحمد شهاب الدين القسطلانى شارح صحيح البخارى وصاحب غيره من المؤلفات القيمة المتوفى سنة ٩٢٣، وأطب كبار المؤرخين بمدحها ووصفها. قال الغزى فى كتابه الكواكب السائرة: هى الشيخة الأديبة العاملة العاملة الصوفية إحدى أفراد الدهر ونوادى الزمان فضلا وعلمًا، وأدبًا وشعرًا، وديانة وصيانة.

- الغرى هو إما بدر الدين المتوفى سنة ٩٨٤ هـ أو نجم الدين المتوفى سنة ١٠٦١ - وقال الشيخ عبد الغنى الدويك الشهير بالنابلسى العالم الجليل المتوفى سنة ١١٤٣: فاضلة الزمان، وحليفة الأدب فى كل مكان. وقال غيرهما ربة الفضل والأدب، وصاحبة الشرف والنسب، كان تجميلة الصورة، وافرة الهيبة، من العلم والأدب، وديوان شعرها فى المدائح النبوية جامع لاسنى الشعر وأعلاه، وقصيدتها البديعية - السالفة الذكر - سارت بذكرها الركبان، وفاقت بمعانيها على بديعية الفى الحلى (المتوفى سنة ٧٥٠) وبديعية ابن حجة الحموى (المتوفى سنة ٨٧٣ هـ) توفيت بدمشق الشام ودفنت بالصاحية ولم يزل قبرها إلى اليوم باقياً ومكتوب عليه، هذا مقام السيدة عائشة الباعونية رضى الله عنها سنة ٩٣٠ هـ.

## ٢٦ - عائشة التيمورية

هى الست عائشة عصمت بنت إسماعيل باشا تيمور بن محمد كاشف، وأخت العالم الفاضل المشهور المرحم أحمد باشا تيمور المتوفى سنة ١٣٤٨ هـ كردية الأصل أديبة فاضلة، وحكيمة عاقلة، عالمة وشاعرة بارعة، فاقت على أقرانها. تعلمت وتخرجت على أساتذة فضلا بين سمع أبويها ونظرهما، وغلب عليها الميل إلى النحو والعروض فبلغت من الشعر مبلغًا لم يبلغه غيرها من النساء، وديوان شعرها المسمى بحلية الطراز شاهد على ذلك ولها شعر كثير بالتركية والفارسية وفى بدء أمرها بادرت أمها إلى تعلمها التطريز ولكن كانت أفكارها متجهة لتعلم القراءة والكتابة، فأتى لها أبوها بمن علمها القرآن والخط والفقه والصرف واللغة وأخذت تواصل قراءة كتب الأدب وتتبع دواوين الشعر حتى صارت لها ملكة التصور للمعاني فأخذت تنظم الشعر وقبل إتمام تعلمها تزوجت، فكفت عن الاشتغال بالعلم وانصرفت إلى تدبير أمور المنزل وتربية أولادها حتى مات زوجها سنة ١٢٩٢ وكان أبوها مات قبله سنة ١٢٨٩ هـ فاستقلت بنفسها ورجعت للاشتغال بالعلم والأدب حتى ماتت سنة عشرين وثلاثمائة وألف ولها من العمر أربع وستون سنة.

## ٢٧ - السيدة قدسية

هى السيدة قدسية رشيدة كريمة الأستاذ العالم الفاضل الشيخ محمد جمال الدين المتوفى سنة ١٣٤٤ هـ ابن الولي الكبير العلامة الشهير الشيخ محمد أبى المحاسن القاوقجى الحسنى المتوفى سنة ١٣٠٥ وأمها امرأة تركية اسمها الست حورية بنت محمد أفندى القنطارجى (الوازن) فى وزارة حرية الدولة العثمانية من أهل مدينة بروسة ولدت سنة ١٣١٦ هـ وسنة ١٨٩٨ م فى استانبول ونشأت فى بيت أبويها على التربية التركية بسبب المحيط الذى

ولدت فيه وتعلمت في كتاتيب المحلة ثم دخلت في المدارس الرسمية للحكومة حتى بلغت السنة الرابعة من سنى التعليم في دار المعلمات ثم نشبت الحرب العامة سنة ١٣٣٣ هـ ١٩١٤ م فحالت بينها وبين إكمال تحصيلها وكان بقى لها سنة حتى تتمه وفي سنة ١٣٣٥ هـ ١٩١٤ م تزوجت بها في استانبول وأقامت معى ثلاث عشرة سنة إلا أسبوعاً رزقت منها فى أثناءها أربعة أولاد ذكور وواحدة أنثى، وهم على هذا الترتيب، عبد الرحمن كمالات وتوفى فى استانبول عن أربعة أشهر وأمة الرحيم وعبد الرحيم وهما والله الحمد حيان بارك الله تعالى بهما وعبد الحليم وعبد الله وقد ماتا فى مصر ولكل واحد منهما ستة أشهر ثم إنها ماتت رحمها الله تعالى بمرض القلب وهى حامل بولدها السادس خلق الله لثمانية أشهر من حمله ودفنت فى حوش الشيخ أحمد أبى النصر فى قرافة الممالك حيث أبوها وعمها الشيخ كمال الدين مدفونان فيه ليلة اليوم السادس عشر من شهر ربيع الثانى سنة ١٣٤٨ الموافق لليوم التاسع عشر من شهر سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٢٩ م رحمها الله تعالى وعفا عنها وعوضها عن شبابها بالجنة وضاعف لها الأجر والمنة وغفر لى ما كان بيننا من تظالم وسوء تفاهم وقد كانت رحمها الله جميلة فصيحة المنطق تغلب عليها التركية على النطق بالعربية ذكية فهيمة صافية القلب من كل غل وحقد مهما أسىء إليها ترضى وتصفح بمجرد ما يعتذر لها، فتوعة راضية بعيشها غير طامعة بشىء من زخارف الحياة مبالغة إلى الزهد فى الدنيا والبعد عن سفاسفها لا تتبرج ولا تتهتك ولا تظهر لغير ذى رحم محرم قريب منها ولا تميل إلى الخلافة وغشيان مسارح اللهو، ما كلفتنى فى مدة إقامتها بمعى بأن أذهب بها إلى مشاهدة رقص أو تمثيل أو سينما أو سماع غناء وما كانت تستعمل ما تستعمله النساء من حمرة الشفاه وتبييض الحدود وتسويد الحواجب وما كانت تبدى شيئاً من بدنها يحرم إبدائه حتى أنها كانت وهى فى بيتها

ترخى الأستاء على النوافذ زيادة فى التصون، وقل أن سمعتها تغنى مع أن صوتها رخيم حسن إلا أن تكون تغنى لتنويم ولدها، وكانت تقوم بعمل بيتها بنفسها حتى غسل الثياب لا تريد أن تستخدم خادمة، وكانت عفيفة الكلام ما سمعت منها كلمة بذينة لا بجسد ولا بهزل، وكانت تكره أن تسمع منى كلمة (شهوة) لما أسألها عما تريد أكله قائلًا لها الرجل يأكل بشهوة عياله فتقول لى لا تقل بشهوة بل باشتهاء عياله، وكانت مقتصدة إلى البخل أقرب منها إلى الإسراف، وكانت مصلية صائمة قارئة للقرآن وغيره من كتب الدين غير ميالة إلى قراءة الجرائد والمجلات على اختلاف نزعاتها ومن تمسكها بدينها أنها كانت صائمة شهر رمضان وهى فى الشهر التاسع من شهور حملها بولدها عبد الرحيم وكان قد صادف شهر رمضان لشهر مايو (أيار) وهو الشهر الذى يطول فيه النهار وتأخذ فيه الحرارة بالازدياد فأبت أن تظفر فيه يوماً واحداً، وبالجملة أنها كانت على أحسن ما يمكن أن تكون عليه النساء مع حداثة سنّها، ولا عجب فإنها من ذرية قوم صالحين وصلاح الآباء مؤثر بالأبناء رحمها الله تعالى رحمة واسعة، وعفا عنى وعنّها، وغفر لى ولها ما كان بيننا ما لا تخلو حالة الزوجية منه. وقد كتبت هذا عنها لتعلم أخواتنا النساء أن فى الرجال أوفياء لسناتهم يحسنون إليهن فى الحياة، ويذكروهن بالخير بعد الممات، فلا ينسوهن من دعاء بالخير لهن ومن قراءة قرآن واستغفار وصدقات عن أرواحهن ولو أنهم لم يكونوا ممنونين منهن تماماً فى حياتهن، فإن وفاتهن تسبب العطف عليهن بالترحم عليهن والدعاء لهن عملاً بقوله تعالى (ولا تنسوا الفضل بينكم) واقتداء بالنبي ﷺ فى حبه لخديجة أولى أزواجه رضى الله تعالى عنها، وذكره إياها بعد وفاتها، وامثالاً لقوله ﷺ "إن حسن العهد من الإيمان" - رواه الحاكم عن عائشة.

## ٢٨ - حميدة أحمد فهمى

أبوها أحمد فهمى البنهاوى معاون مدير البوليس بمصر برتبة يوزباشى جوال فى الأقاليم لتوطيد الأمن والسكينة فيها وأبوه أحمد أفندى كان من ياوران (حجاب) الخديوى اسماعيل باشا. وأمها من شبين القناطر وليس لحميدة من الحامة إلا أخت وثلاثة إخوة هى أوسطهم وخيرهم، بن هى الوحيدة من بينهم فى خلقها وخلقها وصورتها وسيرتها منذ ولدت إلى أن توفيت. ولدت سنة ١٩٠٥ ميلادية الموافقة لسنة ١٣٢٣ هـ ونشأت ذكية نجبية نبيهة حساسة مدركة فهيمة فصيحة عاقلة وتعلمت التعليم الأولى والابتدائى ولم تستكمل كل تعليمها حيث فرط بها أبواها فعاجلها بتزويجها وهى فى السابع عشرة من سنى حياتها برجل له من البنات من هى بسنها أو أكبر منها، من غير أن يترويا أو يتأنيا فى ذلك التزويج فتقول رحمها الله إنه أساء عشرتها ولم يحسن معاملتها حتى اضطرت لأن تطلق منه بعد ما أقامت معه أربعة أشهر على أشد ما يكون، ثم انفصلت عنه وهى حاملة منه وبقيت أيما - عزباء - حتى وضعت حملها فكان ولداً ذكراً سمته محمد وقامت على تربيته حتى بلغ سبع سنوات، فأخذه أبوه منها فوجدت عليه وجداً كثيراً، وفى أثناء ما هى أيم جاءها طلاب كثير فلم ترتض أحداً منهم، ولما ذهب ولدها من يدها وضاق صدرها من بقائها بين أبيها وإخوتها حصلت القسمة بتزوج مؤلف هذا الكتاب بها وهى بنت خمس وعشرين سنة فوجدها نجبية أديبة عاقلة واعية مدركة ذكية نبيهة، مدبرة لأموار بيتها باقتصاد بلا سرف ولا تقدير، مجيدة للقراءة والكتابة، حسنة الفكر والتصور، تفهم من الإشارة ما لا يفهمه غيرها بصريح العبارة، كبيرة النفس، عالية الهمة، حسنة اللقاء لكل من جاءت تزورها، تقوم بكل ما يلزم من أعمال المنزل بنفسها من دون

استغاثة بغيرها حتى فى أمورها الخصوصية من تفصيل وخياطة، ذات كلام موزون وتعبير فصيح، وتحفظ كثيراً من الأمثال والأشعار وصوتها رخيم رقيق إذا غنت، خبيرة بأحوال الناس ولا سيما النساء، وقد ساعدتني كثيراً فى تأليف هذا الكتاب حيث أطلعتنى على كثير من أحوال النساء وطباعهن وفسياتهن، وكانت ملة بأحوال العالم وسياسة البلاد وما يحصل بين الأحزاب من صد ورد، تقرأ الجرائد وتطالع المجلات وكتب الأدب، ولما طبعت كتابى (التذكير بالمرجع والمصير) أكثرت من قراءته زيادة على غير من مؤلفاتى المطبوعة وكانت تحب الأتس ومشاهدة مسارح التمثيل والطرب من غير إفراط، وعزمت على أن تصلى الجمعة فى المسجد الجامع وبدأت بصلاتها فيه، ثم عاجلتها منيتها رحمها الله تعالى. ولكنها مع هذه الصفات الحسنة كانت عصبية المزاج ضيقة الصدر تغضب من أدنى شىء بل تتأثر من لا شىء، وإذا ثارت عصبيتها - وكثيراً ما تثور - اضطربت حواسها وخرجت عن طور الاعتدال فلا ترعى لحاضر حرمة ولا لغائب ذمة، وتطلق اللسانها ويديها السراح، فيتمنى السامع والناظر لما تقول وتفعل أن لو كان أعمى أو أصم ولا يراها بتلك الحالة كما أنها لما تهدأ وتسكن ويرجع إليها اعتدالها تكون من أحسن خلق الله عشرة ومؤانسة ومجلساً حتى يتمنى مجالسها أن لا يفارقها، ولولا هذه الحالة العصبية التى كانت فيها لما كان لها نظير بين النساء بل كانت خيراً من كثير من الرجال لتلك الصفات الحسنة فيها، ولكن الكمال لله وحده، وسبب تلك الحالة العصبية التى اعترها ما قاسته من الشدائد والأهوال فى زواجها الأول، وما كابדתه من المشاق فى تربية ولدها، وما عراها من وفاة والدتها التى كانت برة بها مطيعة لها قائمة عليها أحسن قيام، بخلاف أختها وأخواتها مع أمهم، وبسبب أخذ زوجها الأول ولده منها ومعاملته له المعاملة القاسية الجافة مع أنه ولده الذكر الوحيد بين جملة بنات

من عدة أمهات، وبسبب ما عندها من علو النفس وحب أن تكون بأرفع مما هي عليه مقامًا، وأنعم مما تلاقيه حالا، فاجتمعت عليها الأسباب المهيجة لانفعالها مع ما فيها من الاستعداد بسبب نحافة جسمها فكانت تعترتها تلك الأحوال المزعجة منذ تزوجت بها حتى توفيت رحمها الله تعالى وعفا عنها وغفر لى ولها ما كان منها ومنى ومنى نم تظالم وسوء تفاهم، وقد كانت وفاتها بلا سابق إنذار بخطر، فقد تأخرت عادة حيضها أيامًا ثم جاءتها بقوة ودفق زائد يوم الجمعة ثالث أيام عيد الفطر سنة ١٣٥٢ هـ فاتهب غشاء أمهاتها وانسد مجرى بولها فمكثت أربع ليال باضطراب وبعد ظهر يوم الثلاثاء سابع شوال و ٢٣ يناير الثانى سنة ١٩٣٤ م توفيت رحمها الله تعالى وعفا عنها:

ماتت خميدة فى ربيع حياتها	مغمورة الأوقات فى حسراتها
إذا لم تنل ما قد تريد وتشتهى	طبقًا لما تبديه من حالاتها
مع أنها كانت بعيش طيب	لا يأس فيه لمثلها ولداتها
أخنى عليها طبعها العصبى فى	فورانته فى البعض من أوقاتها
فحدا بها وهى الظلوم لنفسها	نحو المسير إلى حياض ممانها
فقضت ويا أسفى عليها تحبها	فى بضع أيام تلت ليالاتها
لولا تهيجها ونار مزاجها	ما كان يشبهها امرؤ بصفاتها
إذ أنها فى الاعتدال شريفة	فى نفسها وكيلة فى ذاتها
ولها التجمل والتألق عادة	إذ كان حسن السمى من عاداتها
ولها جمال الخلق والأخلاق مع	صوت بديع الحسن فى نغماتها

وبها ذكاء زائد ونباهة  
وتدبير منزلها بكل عناية  
وتسر زائرة بحسن لقائها  
وتجيد ما تقرأ وتكتب مثل من  
وهى الوحيدة والحميدة بين إخ  
مع أن والدهم جميعاً واحد  
أبكى عليها وهى ميتة لما  
وأغض عما كان من هفواتها  
وأرى الوفا يدعو إلى هذا البكا  
فالله يرحمها ويغفر وزرها

تدعو إلى الإعجاب من شاراتها  
مع حسن تدبير بفضل حصاتها  
فتعود مثينة على زوراتها  
ينشى ويبدع فى انتقا كلماتها  
وتها فليسوا مثلها بسماتها  
والأم واحدة بكل أذانها  
لاقيت من تعب بعيد وفاتها  
رعياً لما قد كان من خدماتها  
أسفاً على ما فات من ثمراتها  
ويثنيها الحسى على حسناتها

### فصل - فى ذكر هذا القدر من النساء المتوفيات رحمهن الله تعالى -

كفاية لمن تريد بما كن عليه من القول الطيب والعمل الصالح ، ولم أذكر  
أحد من النساء العائشات اكتفاء بما ذكرته من حال المتوفيات حيث قد انطوت  
صحائف أعمالهن ، بخلاف من هن فى قيد الحياة فإنهن لا ينتهى ولا ينقضى  
تطورهن ، بل إنهن آخذات بالتقدم ، وبعد الموت ينتهى وصفهن ببارك الله  
بحيات الصالحات منهن .

### نداء إلى إخواننا النساء

يا معشر النساء ها قد قصصت عليكم فى هذا الكتاب ترجمة ثمان  
وعشرين امرأة من جنسكن ونوعكن ، وفى كل واحدة منهن صفات ومزايا

منها ما هو وهبى لا يمكن التشبيه به كالشرف والجمال، ومنها ما هو كسبى كالعلم والتقوى والزهد والعفة. وغير ذلك مما هو فى مقدرتك أن تتحلين به (لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب) ويجدر بكن وأنتن النوع اللطيف للجنس الشريف (الرجال) أن تتحلين بما ذكر فى تراجعهن من الصفات الحسنة، فإنه شرف لكن وذكر وفخر وذخر فى الدنيا والآخرة وليس فى خلقكن وطباعكن ما يمنعكن من التحلى بالصفات الحسنة وأنتن المشبهات بالقوارير فى قول النبى ﷺ ومن شأن القوارير - وهو البلور - أن ينطبع بها كل شىء، وما أحسن المطبوع أن يكون مما يستجاد ويستحسن وترين فى تراجعهن كل فضيلة ومنقبة جميلة من عفاف وستر وصيانة وحياء وعقل، وذكاء وأدب وتربية وعلم وفهم ودين وتقوى، وصلاة وصيام إلى غير ذلك من طاعة أزواج وتربية أولاد، وليس فى تراجعهن تبرج ولا تهتك ولا خلاعة ولا كشف ساقين ولا حسر عن ذراعين ولا تزين وتعطر للخروج فى الطرقات، ومزاحمة الدهماء فى مراسح اللهو ومسارح الخلاعة وبؤر السفاهة، ومواخير الفجور. فإن كل ذلك من الأمور الشائنة العائبة التى لا يليق بالنساء أن يتصفن بها، فاعتبرن بما ذكر من تراجم أحوالهن، وتعلمن ما يلزمكن من أحكام الدين، وتمسكن بأدب الشرع الإسلامى، واطلبن من أولياء أموركن أن يعلموكن ما لا تعلمونه منهن. حتى تذكرن بالخير بعد مضى أيامكن يا معشر النساء: إن فى غير المسلمات من جنسكن نساء متحليات بكثير من الصفات الإسلامية التى يندر أن يوجد بعضها فى كثير من النساء المسلمات، وأنتن أحق بميراث دينكن دين الإسلام الذى هو الدين الحق الذى لا يقبل الله التدين بغيره كما قال تعالى (ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) فعيب عليكن، ونقص بكن، أن تضيعن محاسن ما

جاء به دينكن، وتعمدن للتشبيه بالإفرنج في خلائعتهن وسفاهاتهن فأنت  
 تأخذن بالتأفة المزرى العائب من أخلاقهن، والبعض منهن يأخذ بالنفيس  
 المشرف الزائن من صفات دينكن، والله يا معشر النساء ليس لكن جمال ولا  
 كمال ولا أدب ولا تربية ولا شرف إلا باتباع أوامر دينكن واجتتاب نواهيه،  
 وكل ما عدا ذلك من اتباع الهوى ومجاراة النفس والشيطان فيما يريدان شر  
 لكن، ووبال عليكن، وحيث بكن، تؤزرن عليه لا تؤجرن، وتعذبن بسببه  
 ولا تنعمن، وكدة العمر مهما طالقت قصيرة، وأمامكن دار تحاسبن فيها على  
 كل ما كان منكن من قول وعمل لا يرضى الله ورسوله فارقن بأنفسكن،  
 واكففن عن شهواتكن، وارحمن أنفسكن من عار العاجلة، ونار الآجلة.  
 وتذكرن قول السيدة فاطمة النبوية: والله ما نال أحد من أهل السفه بسفههم  
 شيئاً، ولا أدركوا من لذاتهم شيئاً، إلا وقد ناله أهل المروآت، فاستتروا  
 بجميل ستر الله تعالى، فاسمعن يا أيها النساء وأطعن، وقرن في بيوتكن ولا  
 تبرجن، وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله، (واذكرن ما يتلى في  
 بيوتكن من آيات الله والحكمة) واعرضن عن قراءة المجلات والروايات  
 والجرائد والحكايات المفسدة للأخلاق، المذهبة للمروآت، فإن في كتب الدين  
 الإسلامى الكفاية والغنى لمن أراد الكمال والأدب والشرف وحسن الذكر في  
 الحياة وبعد الممات. ولا تغتررن بمن يزين لكن عملكن، فإنهم طلاب صيد،  
 وأصحاب كيد، ولا يمهم من أمركن إلا ما فيه قضاء أربهم سواء أشقيتن أم  
 سعدتن، ورحتن أم خسرتن، فإنهم أعداء لكن كالدئاب، عليهم من جلود  
 الغنم ثياب ورحم الله من أبكاكن ولكن للخير هداكن، ولعنة الله على من  
 أضحككن ولكن في الشر أوقعكن.